

## من فكر السيد نصر الله.. القائد الإنساني حتى الشهادة



إذا قررنا أن نعدّد بعض النقاط ذات الطابع الإنساني في أداء ومسيرة وحياة سيد شهداء الأمة، القائد الاستثنائي السيد حسن نصر الله، يمكننا القول إن أهم قضية إنسانية كرّس هذا القائد حياته لها هي حماية الإنسان في لبنان وفلسطين والمنطقة ككل، ومن خلفهم الإنسان في كل العالم، في مواجهة المخططات الاستكبارية والغطرسة التي تمثل الإدارة الأميركية رأسها الشيطاني في هذا الكون.

ومن أهم القضايا التي عمل عليها السيد الشهيد كانت القضية الفلسطينية، التي من أجلها ارتقى شهيداً كبيراً على طريق القدس، دفاعاً عن كل المقدسات التي تقع تحت نير الاحتلال الإسرائيلي منذ عشرات السنوات، وإصراراً على نيل الشعب الفلسطيني حريته وحقوقه، رغم تخلي الكثير من الأنظمة العربية والإسلامية، وتلك التي تدّعي تأييد الإنسانية واحترام حقوق الإنسان.

ولعل هذا الإصرار على مواصلة دعم فلسطين ومقاومتها وشعبها، رغم كل أشكال التخلي من الآخرين، هو أحد العناصر المهمة التي تجسد إنسانية هذا القائد. وهذه الخاصية تنسحب على قضايا أخرى دعمها طوال حياته قوًّا وفعلاً، ومنها قضية الشعب اليمني ورفض العدوان عليه، بالرغم من انكفاء كثيرين ممَّن يرفعون لواء الحقوق والشريعة والأخلاق والعروبة. فالجميع تراجع أمام سلطة المال والبتروول والدعم الأميركي-الإسرائيلي، بينما رفض السيد الشهيد ذلك، واعتمد قاعدة نصره الحق في وجه السلطان الجائر، ولو كان ثمن ذلك المزيد من التآمر عليه وعلى حزبه وأهله ومحوره.

وكل ما نشاهده اليوم من تآمر على المقاومة في المنطقة يأتي ضمن سياق الانتقام منها ومن قياداتها التي رفضت الرضوخ والهوان أمام كل محاولات الترغيب والترهيب التي تمارسها الأنظمة الإقليمية المدعومة أميركيًّا وإسرائيليًّا وغربيًّا. فهؤلاء لا يتقبلون أن يقف أحد في وجه غطرستهم وإجرامهم، الذي تشهد عليه الوقائع في اليمن والبحرين، وصولًا إلى البوسنة والهرسك، حيث كان لحزب الله مجاهدون قاتلوا هناك في سبيل نصره الحق ضد الباطل، وارتقى منهم شهيدٌ هو السعيد رمزي مهدي.

وقضية الإنسان ذاتها كانت تحكم عمل المقاومة في كثير من محطاتها، رغم قساوة المعارك التي خاضتها، والشواهد أكثر من أن تُعد أو تُحصى. وهو النهج ذاته الذي حكم عمل الشهيد السيد نصر الله، فهذا القائد المعلم الناصح كان إنسانيًّا في كل كلمة أو فعل أو موقف اتخذته، ولم يكن يسعى إلا لقول الحق والعمل به، ولو كان ذلك على حساب حبه وحساب حزبه ومحبيه. فلم يكن يخشى قول الحق، ولو أدى ذلك إلى مسؤولية مباشرة عليه وعلى حزب الله، ولم يكن يتردد في تحمل الواجب، ولو كان في ذلك ضرر محتمل عليه، طالما أنه يسعى لرفع الضرر عن الآخرين وعن لبنان والأمة. فالسيد نصر الله لم يكن يبحث عن شعبية على حساب مصلحة وطنه وأمته، بل كان يتحمل وحزب الله وزر الآخرين، وحتى حملات التشويه والتعرض للمؤامرات، كرمى لحماية غيره أو درء الفتن والخلافات والمشاكل هنا وهناك.

وحتى في خطاباته وتواصله مع الناس، كان إنسانيًّا إلى أبعد حد. عُرف عنه تواضعه وخجله أمام عوائل الشهداء وأطفالهم، وفي تواصله مع الجرحى وآلامهم. كانت دمعته سخية في مقامات الحزن والعطف

والحنان، كما هو الحال عند سماع روايات مصارع الكرام من آل بيت محمد (ع)، وكان يجلس حركات الأحرار في هذا العالم التي وقفت بجانب الحق ضد الباطل، ويرفع صوته عاليًا رفضًا للطغيان.

وفي هذا السياق، قال المفكر العربي يحيى أبو زكريا في حديث لقناة المنار "القائد الأممي السيد حسن نصر الله كان من أهم القادة الذين آمنوا بفكر الوحدة الإسلامية، وكان يؤمن بأن تحرير القدس واسترجاع المقدسات يتطلب وحدة المسلمين". ولفت إلى أن "السيد نصر الله عمل على استحضار كل الفتاوى التوحيدية، ومن يقرأ أدبياته لا يجد أي تجاوز في حق أي طائفة إسلامية أو مسيحية".

وأضاف "لم يذكر أي رمز إسلامي بسوء في كل خطبه ولقاءاته، بل تبني فتوى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران السيد علي الخامنئي، عندما حرّم المساس بحرمة الصحابة وأمّهات المؤمنين"، مشددًا على أن "السيد نصر الله هو سيد الأمة ورمز الوحدة الإسلامية".

وقال أبو زكريا "عند الغوص في الجانب الوجودي من شخصية هذا القائد الأممي، ندرك أن السيد حسن نصر الله لم يكن مجرد قائد، بل كان مسكونًا بهموم الإنسانية وعذاباتها، وكان يعمل على إلحاق الهزيمة الفكرية والجهادية بالمستكبرين الذين حرّموا المستضعفين من حقوقهم السياسية والاقتصادية". وأضاف "السيد الشهيد انتصر للإنسان الذي يعاني من السياسات الظالمة ومحاولات الابتزاز"، وتابع "كان صوتًا ضد الاستعمار والاحتلال، وكان مع حق الإنسان في السيادة والتمتع بموارده الطبيعية، وكان مع نهضة المسلمين في خط طنجة - جاكرتا". وأكد "كان عملاقًا بإيجاز، ويجب على الباحثين تحليل كل جوانب فكره، واستكشاف ما في هذا الفكر من إشعاع وعوامل نهوض".

يبقى أن نشير إلى أن فكر هذا القائد الاستثنائي، الشهيد السيد حسن نصر الله، سيكون مجالًا خصيًّا لكثير من الكتابات والدراسات والمؤلفات والمؤتمرات والأفلام الوثائقية وغيرها من سبل التحليل

والدراسة، لما فيه من مضامين عميقة في شتى مجالات الفكر الإنساني، وهذا ما ستكشفه الأشهر والسنوات القادمة.

الكاتب: ذوالفقار ضاهر / موقع المنار